

أضواء البيان

@ 78 @ لبید : قال ابن مسعود : كنا نقول في الجاهلية للحي إذا كثروا : أمر أمر بني فلان : قال لبید : % (كل بني حرة مصيرهم % قل وإن أكثر من العدد) % (إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا % يوماً يصيروا للهلك والنكد) % . قلت : وفي حديث هرقل الحديث الصحيح . لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه ملك بني الأصفر . أي كثر . وكلها غير متعد ، ولذلك أنكره الكسائي . وإِ أعلم . . قال المهدوي : ومن قرأ أمر فهي لغة . ووجه تعدية أمر أنه شبهه بعمر من حيث كانت الكثرة أقرب شيء إلى العمارة . فعدى كما عدى عمر إلى أن قال : وقيل أمرناهم جعلناهم أمراء . لأن العرب تقول : أمير غير مأمور ، أي غير مؤمر . وقيل معناه : بعثنا مستكبريها . قال هارون : وهي قراءة أبي : بعثنا أكابر مجرميها ففسقوا فيها ذكره الماوردي . . وحكى النحاس : وقال هارون في قراءة أبي : وإذا أردنا أن نهلك قرية بعثنا فيها أكابر مجرميها فمكروا فيها فحق عليها القول اه محل الغرض من كلام القرطبي . . وقد علمت أن التحقيق الذي دل عليه القرآن أن معنى الآية : أمرنا مترفيها بالطاعة فعصوا أمرنا . فوجب عليهم الوعيد فأهلكناهم كما تقدم إيضاحه . . تنبيه .

في هذه الآية الكريمة سؤال معروف ، وهو أن يقال : إن إِ أسند الفسق فيها لخصوص المترفين دون غيرهم في قوله { أَمَرُونَا مُتَرَفِّفِيهَا وَفَسَقُوا فِيهَا } مع أنه ذكر عموم الهلاك للجميع المترفين وغيرهم في قوله { فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ } فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا { يعني القرية ، ولم يستثن منها غير المترفين ؟ . والجواب من وجهين : .

الأول أن غير المترفين تبع لهم . وإنما خص بالذكر المترفين الذين هم سادتهم وكبرائهم . لأن غيرهم تبع لهم . كما قال تعالى : { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا اللَّهُنَّ السَّيِّئِينَ } ، وكقوله { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَبَّاهُمْ وَرَأَوْا الْوَعْدَ ابْتِغَاءَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأُصْبَابُ } ، وقوله : { إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لَاءٍ وَلَا هُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا } ، وقوله تعالى :